عن شخصية القانة و فننَّة في سياق سفر صموئيل الاول

بقلم : ديفيد اديب

عندما نقترب من الكتاب المقدس ، يتجاهل الكثيرين منا أن ما نقرأه ليس فقط كلمة الله ، بل أيضًا واحدة من أجمل الاعمال الأدبية التي عرفتها البشرية . تطور شخصيات القصة هو أحد أهم عناصر أي سرد . فهم تفاصيل الشخصيات لا يعزز فقط تجربة القراءة ويثري فهمنا للنصوص الكتابية ، بل يمكنه أيضًا أن يساعدنا في استيعاب تطور الأحداث واستخلاص دروس قيمة لحياتنا بطرق قد لا ندركها لولا ذلك . في هذه المقالة القصيرة ، سأحاول تناول الشخصيات في السرد الافتتاحي لسفر صموئيل الأول ، المحيط بولادة آخر وأعظم قضاة إسرائيل ، صموئيل .

في الفصول الافتتاحية من سفر صموئيل الأول ، نلتقي بألقانة وفننة — شخصيتين كتابيتين تُذكران فقط في هذا الجزء ولا تظهران في أي مكان آخر في الكتاب المقدس . على الرغم من الغموض الذي يحيط بهما وذكرهما بشكل موجز يفتقر إلى التفاصيل ، إلا أن ظهورهما في هذا السياق — كما سترى بعد قليل — يلعب دورًا حاسمًا في كيفية تطور أحداث السرد . والأهم من ذلك ، يمكننا أن نستخلص مجموعة من الدروس من ديناميكيات هذا السرد لحياتنا اليوم .

تقديم الشخصيات

اسم ألقانة يعني "الله قد حصل (أو أنجب)" أو "الله قد خلق [ابنًا] ." يُصوَّر ألقانة كشخص متعبد ومؤمن مخلص يتردد على شيلوه ، حيث كانت الخيمة وتابوت العهد ، ليعبد إله إسرائيل ويقدم ذبائحه . نقرأ في هذا السرد : "وكان [ألقانة] يَصْعَدُ مِنْ مَدِينَتِه مِنْ سَنَة إِلَى سَنَة لِيَسْجُدَ وَيَذْبَحَ لِرَبِّ الْجُنُودِ فِي شِيلُوهَ" (صموئيل الأول 1 : 3) . كان على الأرجح رجلاً ذا إمكانيات مالية ، حيث إنه الشخص الوحيد من العامة الذي ذُكر عنه بوضوح في أسفار صموئيل والملوك انه كان لديه أكثر من زوجة واحدة . تكونت عائلة ألقانة من زوجته حنة (التي يعني اسمها "نعمة") ، وزوجته الأخرى فننة (التي يعني اسمها "لؤلؤة" أو "ياقوتة") ، وأبنائه من فننة . يقدم الكتاب المقدس زوجتيه بهذا الشكل : "اسْمُ الْوَاحِدَةِ حَنَّةُ ، وَاسْمُ الأُخْرَى فَنَنَّةُ" (صموئيل الأول 1 :2) . يشير ترتيب الذكر إلى أن ألقانة كان قد تزوج حنة أولاً ، ثم ، على الأرجح بسبب عقمها ، تزوج فننة لاحقًا لضمان وريث ذكر . (الزواج من زوجة ثانية أو حتى ثالثة هو ممارسة شائعة في الشرق الأدنى حتى يومنا هذا بين غير المسيحيين لضمان النسل [وخاصة الذكور] إذا لم تتمكن الزوجة الأولى من الإنجاب) .

دور القانة و فننة في الاحداث

في حين أن قصة ولادة صموئيل وتكريسه للرب تبدو مُركزة على أمه حنة ، إلا أن كلا من ألقانة وفننة لعبا دورًا رئيسيًا في كيفية تطور الأحداث . كان استفزاز فننة وغيرتها تجاه حنة هو ما دفع حنة لتسكب قلبها أمام الرب ، متوسلةً إليه أن يمنحها ابنًا . عندما ذهبت لتتعبد وتطلب من الرب طفلاً ، يخبرنا الكتاب المقدس أن نفس حنة كانت مُرَّة لدرجة أنها لم تستطع حتى أن تتحدث بصوت مسموع ، مما جعل رئيس الكاهن يظن أنها كانت تشرب مُسكراً في

بيت الرب (صموئيل الأول 1 :12–16) . لولا الكراهية المريرة من فننة نحوها ، ربما لم تكن حنة لتصبح "مُرة النفس" بهذا الشكل (صموئيل الأول 1 : 10) أمام الرب في صلاتها ، وهو السبب الذي جعل الرب "يذكرها" (صموئيل الأول 1 : 19) ويمنحها الابن الذي "من عند الرب طلبته" (صموئيل الأول 1 :20) .

من جهة أخرى ، فإن محبة ألقانة لحنة هي ما دفعه إلى تأكيد نذرها والسماح له بالاستمرار . وفقًا للعهد القديم (العدد 30 : 10–15) ، كان للزوج الحق في إبطال أو تأكيد نذور زوجته . وبسبب إدراك ألقانة لانكسار قلب حنة ومرارة نفسها ، سمح لها بتكريس ابنها الأول لخدمة الرب كنذير . هذا ساعد على تحقيق خطة الله وساهم في جعل صموئيل خادمًا لله وأحد أهم الشخصيات في العهد القديم وفي تاريخ إسرائيل بشكل عام .

تفاعلهما مع الشخصيات الاخرى

من حيث طبيعة شخصيتها ، تُصور فننة كشخصية متجمدة مليئة بالحسد والغيرة . في بداية القصة ، تُقدَّم كمنافسة مستفزة لحنة ، ويبدو أن الكاتب يتعمد الصمت في ختام القصة بشأن رد فعلها عندما أنجبت حنة طفلها الأول ، صموئيل—على الرغم من أنه يمكن الاستنتاج بشكل منطقي أن هذا الحدث قد عمّق حسدها وغيظها تجاه حنة أكثر .

أما ألقانة ، فيُوصف كشخصية ديناميكية يبدو أنها تطورت ونضجت بمرور الوقت . في مرحلة مبكرة من السرد ، نقرأ أن ألقانة تقريبًا وبّخ زوجته حنة على رغبتها الشديدة في إنجاب طفل لها ، حيث قال لها : «يَا حَنَّةُ ، لِمَاذَا تَبْكِينَ؟ وَلِمَاذَا لاَ تَأْكُلِينَ؟ وَلِمَاذَا يَكْتَئِبُ قَلْبُكِ؟ أَمَا أَنَا خَيْرٌ لَكِ مِنْ عَشَرَةِ بَنِينَ؟» (صموئيل الأول 1 : 8) . ولكن بعد أن كان متجاهلاً لحنة وحاجتها لإنجاب أطفال خاصين بها ، وبعد أن لم يفهم أن حبه لها لا يمكن أن يعوضها عن حرمانها من الأطفال ، يبدو أن ألقانة نشأ لديه فهمًا أعمق لاحتياجات زوجته حنة وشارك بحماس في تنفيذ نذرها (صموئيل الأول 1 : 21) .

من حيث تفاعلها مع الشخصيات الأخرى ، أدى حسد فننة تجاه حنة إلى استفزازها والتفاخر عليها بسبب حرمانها من الأطفال سنة بعد سنة (صموئيل الأول 1 : 6) . لا شك أن هذه العلاقة المرة بين حنة وفننة خلقت توترات في بيت ألقانة . ولا يبدو أن ألقانة فهم أن فننة كانت بحاجة إلى حبه وحنانه بقدر ما كانت حنة بحاجة إليه . يبدو أنه إما كان غافلاً عن التعاملات الأسرية المتوترة ، أو أنه تعمد تجاهل المنافسة بين زوجتيه . يظهر ألقانة غير مبالٍ أو على الأقل أقل تعاطفًا من المتوقع مع حاجة زوجته حنة لإنجاب أطفال خاصين بها . لكنه لم يكن فقط غير حساسٍ تجاه احتياجات حنة ، بل كان أيضًا غير عادل في معاملته تجاه زوجته الأخرى فننة وأطفالها . يذكر الكتاب المقدس انحيازه بوضوح : وَلَمَّا كَانَ الْوَقْتُ وَذَبَحَ أَلْقَانَةُ ، أَعْطَى فَنِنَّةَ امْرَأَتَهُ وَجَمِيعَ بَنِيهَا وَبَنَاتِهَا أَنْصِبَةً . وَأَمَّا حَنَّةُ فَأَعْطَاهَا نَصِيبَ اثْنَيْنِ ، لأَنَّهُ كَانَ يُحِبُّ حَنَّةَ . وَلَكِنَّ الرَّبَّ كَانَ قَدْ أَغْلَقَ رَحِمَهَا (صموئيل الأول 1 :4–5) . لم يفهم ألقانة أن إظهار المودة لفننة والعدل في توزيع الأنصبة السنوية كان يمكن أن يخفف بعض التوتر في بيته .

الرب في سياق الاحداث

على الرغم من أن هذا السرد يبدو متمحوراً حول هذه الشخصيات البشرية ، إلا أنه لا يمكن إغفال الشخصية المحورية الأهم— الرب نفسه . للوهلة الأولى ، قد يكون من الصعب تمييز الدور الذي يلعبه الله في هذا السرد . لكن كما سنرى الآن ، فإن هذا السرد يدور بالكامل حول الدور الرئيسي الذي يلعبه الرب في ترتيب الأحداث والظروف لتأمين خطته وتنفيذها .

على الرغم من أن العلاقة بين فننة والله ليست مذكورة كثيراً ، يمكن ملاحظة من سلوكها— المليء بالغيرة والحسد تجاه حنة— أنها لم تكن خاضعة بما يكفي لخطة الله ولم تكن تابعة لإرادته بشكل كاف . في مثل هذه الظروف ، كان من المتوقع أن تكون فننة متعاطفة ولطيفة تجاه حنة التي كان قلبها مليئًا بالحزن والمرارة بسبب عقمها . هذا هو الرد الطبيعي المتوقع في مثل هذه الحالات . ولكن بدلاً من ذلك ، كان قلب فننة تجاه حنة مليئًا بالعداوة والمنافسة .

أما علاقة ألقانة بالله فتُصوَّر على أنها قوية ومتسقة . كان ألقانة يصعد إلى شيلوه كل سنة (صموئيل الأول 1 : 3 ، 21) . وقد أنعم الله عليه بالكثير من الأبناء (1 : 2 ؛ 2 : 21) ، وهو ما كان يُعتبر علامة على بركة الله وفق معايير العهد القديم . في وقت كان فيه العديد من القادة الدينيين وقادة المجتمع في إسرائيل قد زاغوا وفسدوا (المعروفة بفترة القضاة) ، كان ألقانة واحداً من القلائل الذين ظلوا أمناء لإله إسرائيل .

المعلومات الخلفية التي يحتويها سرد حَبَل وولادة صموئيل توفر سياقًا لعمل الله من خلال الديناميكيات وبرغم الظروف في بيت ألقانة . عمل الله من خلال طبيعة فننة الغيورة والحسودة تجاه حنة ، ومن خلال غفلة (أو تجاهل) زوجها ألقانة ، ليستخدم الظروف التي أدت إلى ولادة أعظم قضاة إسرائيل— صموئيل . لم يكن صموئيل فقط أكثر قضاة إسرائيل صلاحاً ، بل كان أيضًا مَن مَسَحَ أول ملك لإسرائيل ، شاول ، وأعظم ملوكها ، داود! الله ، في قوته الإبداعية ، لا يخلق دائمًا الأمور من العدم— بل أحيانًا يجلب الجمال والصلاح من الفساد والشر!

تطبيقات هامة

جهل ألقانة باحتياجات كلتا زوجتيه يقدم درسًا يجب أن نتعلمه : الجهل لا يبرر اللامبالاة . يمكن للقارئ أيضًا أن يتعلم من تفاني ألقانة ، الذي انعكس في رحلاته السنوية إلى شيلوه ، أنه أدرك أهمية الله لعائلته بأكملها . وقد بارك الله ألقانة وبقية أسرته نتيجة لذلك . علاوة على ذلك ، فإن دعم ألقانة لزوجته حنة ، ورغباتها ، ووفائها بنذورها ، هو درس آخر للأزواج ليكونوا داعمين بدلاً من أن يكونوا متجاهلين لاحتياجات زوجاتهم ، وليحترموا نذورهم الشخصية والتزاماتهم تجاه الله .

سلوك فننة تجاه حنة يعلمنا أن الغيرة لا يمكن أن تكون عذرًا للسلوك الحاسد تجاه الآخرين . استمرار فننة في استفزاز حنة يثبت أيضًا أن الله يمكنه دائمًا العمل من خلال أصعب الظروف ، بما في ذلك الفوضى العائلية .

في الختام ، بينما يبدو أن ألقانة وفننة هما شخصيتان هامشيتان في القصة عند النظرة الأولى ، من وجهة نظر أدبية ، كان المؤلف بالتأكيد يقصد أن يُقدِّر قارئه كيف دفعا — سواء عن قصد أو غير قصد — الأحداث الدرامية إلى الأمام ، والتي بلغت ذروتها في هذا السرد ولادة صموئيل وتكريسه لخدمة الله . ومن الواضح أيضًا أن المؤلف أراد من قارئ هذا السرد أن يتعرف على الدروس المستفادة من هذه القصة ، التي تنتهي بإظهار كيف يمكن لله أن يستخدم حتى الحسد البشري والغيرة والظروف غير المواتية والبيئات السلبية لتحقيق خطته بجمال وابداع .

أخيرًا ، كل قصة كتابية هي عِبارة عن قطعة معمارية جميلة ، مُصممة بعناية . قدرتنا على رؤية كيف تتصل الأجزاء المختلفة ببعضها البعض وتُكمل بعضها البعض هي مفتاح لقدرتنا على الاستفادة الكاملة من كلمة الله وتقدير ليس فقط جمالها الروحي ولكن أيضًا قيمتها الأدبية . آمل وأصلي أنه إذا كنت تقرأ هذه الكلمات ، فإنك في المرة القادمة التي تفتح فيها كتابك المقدس لقراءته ، تفعل ذلك بعين ثاقبة وعقل يتوق إلى التعمُّق اكثر واكثر في كل مرة .

حتى ذلك الحين ، كن مباركًا في ربنا يسوع واستمر في الثبات في حضوره . آمين!